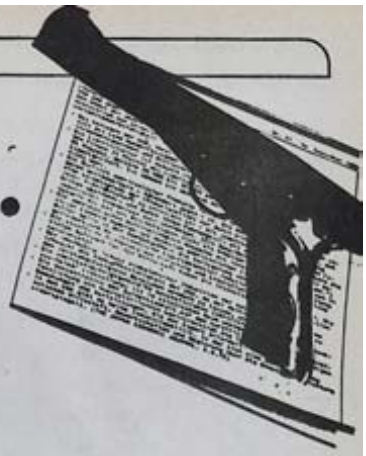

.. وكان الثمن غاليًا!

زهيرة البيلى

أمام أحد الفنادق توقفت سيارة ضخمة .. ونزل منها بسرعة ستة من رجال البوليس . تسللوا الواحد وراء الآخر إلى داخل الفندق .. كانت الساعة الحادية عشرة مساء وقد غربت الشمس توا فوق سماء النرويج فى هذا الشهر من يونيه .

ارتعد بواب الفندق أمام أسئلة أحد الرجال الستة . وأجاب على الفور : « الحجرة رقم ١٨ » وبسرعة صعد الموكب على السلم ولم ينتظروا الأسانسير . طرق واحد منهم باب الحجرة وعندما لم يجب عليه أحد حاول مرة أخرى . وفجأة سمع صوت امرأة شابة تستيقظ من نوم عميق لتستفسر عن سر هذه الضوضاء ؟ !

وعندما لم يفتح الباب على الفور .. طلب رجل البوليس من البواب أن يتولى هو عملية فتح الحجرة ودخلها بسرعة الثان من رجال البوليس .. بينما بقى الآخرون فى الممر .. لقد وجدوا أنفسهم أمام امرأة شابة تحاول ارتداء « الروب دى شمبر » فوق قميص نومها القصير والشفاف جدا . والذى كان على أحدث طراز لموضة عام ١٩٥٧ .. انها امرأة شابة ممشوقة القوام ساحرة شقراء .. شعرها طويل وعيناها زرقاوان واسعتان ذات وجه بيضاوى وملامح دقيقة . وبدأ أنفها مرفوعا بعض الشىء ومع ذلك كان جالبا من نوع خاص مختلف . ولم يتذمر من أنفها أحد .. وامام هذا الهجوم المفاجىء لرجال البوليس بقيت المرأة مأخوذة جامدة فى مكانها . وفى ذعر أخذت تتأمل باقى الرجال بملابسهم الرسمية فى الممر .

وبصوت يرن مثل ناقوس صغير متصدع تساءلت الشابة التى تبلغ الواحدة والعشرين من عمرها عن السبب الذى وراء هذا الهجوم .. لكن يتذمر شديد أمرها رجل البوليس بالإسراع فى ارتداء ثيابها وسوف يتضح لها كل شىء أمام المأمور .

وفى أحد ممرات مبنى المخافظة وقف محرج سيارتى معروف ينتظر .. كان فى ذلك الوقت فى النرويج قاسيتقظ على الضوضاء .. وبما أن المرأة الشابة « دانى » تعمل عنده « ماكيير » حاول الاعتراض والتدخل فى موقف البوليس لكنه أبعد بعنف . سارت « دانى » بصحبة رجال البوليس وأمام نظرات الذهول والدهشة لفريق التمثيل الذى تجمع للاستفسار . وفى أحد مكاتب المخافظة حجزت « دانى » فى القاعة المخصصة للاستجواب .

لم يكن بوسع المرأة الشابة إلا الانتظار تحت حراسة واحد من رجال الأمن . ومرت عشر دقائق ثم ربع ساعة . ثم نصف ساعة لينساب آخر شعاع للشمس داخل تلك الحجرة الكئيبة وبعد مرور ساعة بالضبط كانت « دانى » فى قمة التوتر .

وفى الساعة الثانية عشرة والنصف من منتصف الليل دخل الحجرة أخيرا رجل بوليس صلب يرتدى الملابس المدنية إنه المأمور وألقى عليها سؤالا واحدا محددا .. « ماذا فعلت بالطفل ؟ » هيا أجيبى . ماذا فعلت بالطفل ؟ » .

أما « دانى » التى كانت على وشك الانهيار أخذت تبحث عن نظرة فى عيني أحد لتتعلق بها . ولكن لم يكن بالقاعة إلا هذا الرجل الصلب . وتساءلت المسكينة : « أى طفل ؟ » .

قال المأمور إن المعلومات التى لدى تؤكد أنك وراء عملية اختطاف طفل صغير .

حاولت « دانى » .. أن تتذكر هذه العملية . نعم لقد نقلت الإذاعة والتليفزيون هذا الخبر طيلة أمس .. عن طفل صغير من عائلة ثرية خرج للعب ثم اختفى . أما البوليس النرويجى وفى انتظار طلب الفدية فقد جند بأكمله للبحث عن الطفل ومختطفيه .

سألها المأمور : ماذا كنت تفعلين أمس ما بين الساعة الخامسة والثامنة مساء ؟ فأكدت له المرأة الشابة أنها انتهت من التصوير فى نفس الوقت مع باقى زملائها ثم ذهبت إلى السينما بالطبع .

لم يكن فى إمكان البوليس التحقق من تلك الأقوال . ولكن الذى حدث أنه كلما أكدت « دانى » .. أنه لا صلة لها بهذه العملية شك المأمور فى أقوالها وفى النهاية غادر المأمور الحجرة لشق

المرأة بمفردها وسط قاعة الاستجواب الباردة .. وفى حوالى الساعة الخامسة صباحا دخلت امرأة .. إنها من رجال البوليس لتخبرها ببساطة شديدة جدا أنه فى الامكان أن تذهب فهى طليقة السراح . إذ تم العثور على الطفل أما « دانى » التى مازالت فى ذهول فقد أخذت تسأل : « أريد أن أعرف لماذا إذن أنا هنا ؟ » وعلمت .. أن البوليس تلقى مكالمة تليفونية من مجهول تدينها وتشير إليها بالاتهام .

وعندما عادت المرأة الشابة إلى الفندق ألقت بنفسها على السرير فى راحة تامة ثم ذهبت لتلتقى بفريق التمثيل لتواصل عملها وتصورت « دانى » أنها وقعت فريسة لموقف لن يتكرر أبدا لكنها مع الأسف كانت مخطئة .

لقد غادرت المرأة الشابة النرويج فى طريقها إلى استوكلهم حيث تقيم اسرتها . ولكن بعد مرور ستة أشهر وقعت عملية سلب بالقوة . وتلقى رجال البوليس رسالة عاجلة تدين « دانى » لتكرر نفس السيناريو . لكنه فى هذه المرة لم يكن فى وسع المرأة إلبات براءتها الأمر الذى اضطرها لقضاء يومين داخل السجن . ثم تم الافراج عنها . بعد أن تم القبض على أفراد العصابة .

وتعود « دانى » ثانيا إلى منزلها . فقد حدث لبس مع أحد أفراد العصابة وهى امرأة شقراء كانت ترتدى « باروكة » .. واهتزت أعصاب « دانى » مشتعلة عندما تبينت فى أحد الأيام طرقات البوليس على الباب . لاثنين من رجال البوليس طلبا منها أن ترتدى ثيابها وبسرعة لتذهب معهم إلى مكتب المأمور حيث علمت أنها هذه المرة متهمة فى جريمة قتل . لقد خطف طفل صغير فى الخامسة من عمره وعثر عليه البوليس بعد أن قتل خنقا . وتلقى البوليس رسالة من مجهول مكتوبة على الآلة الكاتبة وبالحروف الكبيرة تشير إلى إدانة « دانى » .

وفى هذه المرة وقبل أن تواجه « دانى » كذبة الاستجوابات . تم القبض على المتهم . لقد كان الاتهام الأول بناء على مكالمة تليفونية من مجهول لا يعرفون له مصدر . وكان البلاغ الثانى عن طريق برقية عاجلة من مكتب بريد استوكهلم .. أما البلاغ الأخير فكان عبارة عن رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة بعث بها أيضا من استوكهلم وأصبح من المؤكد الآن لرجال الأمن ان هناك من يكن العداء للمرأة الشقراء الشابة لكن من ؟ ولماذا ؟ وبما أن المرأة الشابة تتمتع بجمال خاص فلابد أن الأمر يتعلق « بعشيق » أو متيم مرفوض . وأصر والد « دانى » .. الذى ضاق بما حدث لابنته أن تتقدم بمظلمة للنيابة .

وبدأ رجال البوليس تحقيقا واسعا وغامضا مع كل الأفراد التى كانت لهم علاقات غرامية قديمة بالمرأة الشابة . الشىء الذى لم يسفر فى النهاية عن أية نتيجة . والمؤسف حقا أنه على مدى السنوات الثلاث المقبلة تكرر نفس السيناريو ولمرات عديدة . أما المرأة الشابة بعد أن تعودت على نفس المشهد أصبحت تستقبل رجال الأمن بشىء من الألفة والهدوء والبرود . لا تسير معهم إلا ارضاء للضمير .

لكن عندما تكررت نفس الواقعة فى المجلترا أثناء تصوير أحد الأفلام . اخذ الموقف فى هذه المرة أبعادا خطيرة . فبناء على تعليمات الانتربول سأل اسكوتلنديارد البوليس السويدى الذى اجاب أن « دانى » مطاردة بمدع منتظم يتتبعها فى كل مكان . لكن حتى هذا لم يبرئ أو ينفى التهمة عن المرأة الشابة التى كان عليها أن تبقى لعدة أيام تحت تصرف العدالة . وألا تغادر المجلترا على الأقل لمدة شهر .. وطبقا للمثل القائل « لا يوجد دخان من غير نار » أحيطت « دانى » بهالة حقيقية من الشك والريبة . منذ ذلك الوقت . وبعد أن تأكدت أنها مطاردة فى كل مكان اتخذت الاحتياطات اللازمة فأصبحت لا تذهب إلى أى مكان إلا وهناك شهود . أو تتدون مواعيد خروجها وعودتها فى مفكرة صغيرة . حتى إذا ذهبت إلى السينما أو المسرح . كان لابد أن تبلغ عن مكانها . وعندما سافر المخرج وفريقه لتصوير أحد الأفلام فى إيطاليا . اعتقدت « دانى » وهى تحت أشعة شمس نابولى أنها فى مأمن من المطارد المجهول . إنها فرصة لكى تتخلى عن تلك الاحتياطات المعتادة . وبينما كان المخرج منهمكا فى تصوير ديكور رائع فى جنوب نابولى داربين الفريق خمس سرى ومواعيد فى الخفاء عن قصة غرامية بسيطة نشأت بين أحد الممثلين الشبان ونجمة سينمائية مبتدئة هى « دانى » ..

لكن للأسف لم يكن هناك الوقت أو المجال للتوسع وتشعب الموضوع .

فلا بهم هنا سوى الإشارة إلى الممثل الشاب الذى كان فى السابعة عشرة من عمره وأن « دانى » لم تكن تبغى سوى

نسيان مشاكلها ، تحت أشعة الشمس الحارقة .

وبعد التصوير ولمدة خمسة عشر يوما من العمل المتواصل . ذهب الفريق للقضاء إجازة نهاية الأسبوع فى روما . وفى يوم الاثنين صباحا وأمام استئناف العمل لم يظهر الممثل الشاب الذى تم العثور على جثته هامدة داخل إحدى حجرات الفيلا الكبيرة التى كانت تحت تصرف فريق العاملين بالفيلم . والتى قدمها لهم المنتج . ولقد حددت الوفاة منذ أربع وعشرين ساعة على الأقل بناء على تقرير الطبيب الشرعى وبسبب الإسراف فى تعاطى المخدرات .

وكان لتلك الحادثة صدى واسع وتناولتها صحف العالم وأثبتت تحريات البوليس الإيطالى أن امرأة شابة كانت بصحبة القتيل وقضت معه الليلة وبما أن هذا الأخير لم تكن له سوابق بسبب الإدمان . فإن المسئولية كلها وقعت على عاتق تلك المرأة التى تورطت فى الجريمة ومن بين التين أو الثلاثة من المشتبه فيهم كانت « دافى » . ولتأكيد دور المرأة الشابة تلقى البوليس الإيطالى خطابا طويلا كتب باللغة الإنجليزية وعلى الآلة الكاتبة . أرسل من استوكهلم يدين صراحة الماكيير . وادعى المجهول فى بلاغه أن « دافى » كانت تستسلم أحيانا وفى لحظات الاكتئاب للمخدرات . وقال إنه عندما علم بالحادث من الصحف . لم يستطع أن يمنع نفسه من الربط بين الظروف بعضها والبعض وهذا طبقا لتجربة عاشها بنفسه مع المرأة الشابة منذ عدة سنوات . عندما كان قاصرا وكاد ينتهى نهاية سيئة . . حاول البوليس أن يفسر أنه ربما لهذا السبب أراد المرسل أن يبقى مجهولا .

وعندما سأل رجل البوليس « دافى » عن المكان الذى قضت فيه ليلة الحادث . أجابت أنها كانت فى نفس الفيلا ولكنها كانت تشغل حجرة أخرى بمفردها . . ولم تكن تعرف حتى أن الممثل الشاب موجود أيضا . وبدأ من جديد السيناريو المعتاد . الاستجواب . وفحص ودراسة مفكرة المواعيد والشهود . لكنه مع ذلك تطورت الأمور إلى أسوأ . الفحص الطبى الذى أجرى « لدافى » بعد ثلاثة أيام من وقوع الحادث لم يبين ما إذا كانت قد تعاطت المخدرات من عدمه وتأكد البوليس أنها بالفعل كانت تشغل حجرة بمفردها . ولكن هذا لا يعنى أن تكون قد قضت ليلة السبت مع الممثل الشاب .

تصميم محمد ابراهيم

وبالرجوع إلى مكتب انتربول استوكهلم . أجاب أن « دافى » معروفة فقط بكونها مطاردة من مجهول ولكن مع ذلك كانت الأدلة كلها قوية ضدها . فالبلاغ محدد . والموقف معقد . لذلك وضعت دافى تحت تصرف قاضى التحقيقات .

وفى استوكهلم خرج رجل ضخم فى الخمسين من عمره يرتدى قبعة ، وقد ربط بعصبية وشاحا حول عنقه خرج من بيته تملا من شدة الغضب ، بعد أن قرأ المغامرة التى جرت « لدافى » ابنته . . خرج كالمجنون . عيناه الزرقاوتان تغسلها الدموع الباردة . واتجه إلى قسم البوليس .

وبعد أن تفقح به الكيل . حيث إن كل هؤلاء الرجال الذين يزيهم الرسمى فى نظره عاجزون بعيدون عن الحقيقة لذلك قرر أن يتم بالعملية بنفسه . إنها ابنته هو . لذلك كان لابد من العثور على المسئول عن هذه البلاغات المجهولة . أما رجل البوليس الذى استقبله فى مكتب الانتربول فهو المتخصص أو المسئول عن الآلات الكاتبة . والذى كان فى نفس سن الأب وبنفس العيون الزرقاء الشاحبة .

افترض والد « دافى » أنه أربعة خطابات مكتوبة على الآلة الكاتبة شىء يستحق البحث . ومن هنا سوف يمسك بالخيط وأخذ رجل البوليس يفحص الملف الصغير الذى يضم النسخ الأصلية والمصورة للبلاغات التى كتبت على أربع آلات مختلفة . هذا باستثناء البلاغ الأول والبلاغ الأخير . حيث كتبت الرسالة الأولى بالحروف الكبيرة والأخرى بالحروف الصغيرة . وكان الأمل الوحيد أمام الأب هو التعرف على نوع الآلة المستخدمة . وفكر رجل البوليس وفحص طريقة الكتابة فى هذين الخطابين بالذات . وتمكن من تحديد نوع الآلة المستعملة خاصة أن لكل آلة نموذجا أو قاعدة فى الكتابة . فهى مثل الإنسان لها أسلوب وقاعدة وطريقة . وأخذ رجل البوليس يقيس « وسطرة » عادية مدرجة الطول المطلوب لكتابة مائة حرف . الشىء الذى يسمى بالميزان . وكان هذا الطول ٢٦٠ ملليمترا لكل مائة حرف . وبعد فحص اللوح المعدنى الذى كتب عليه حرف « ت » صغير . والذى يكون مكانه فى بعض الآلات الكاتبة فى الوسط وأحيانا عند اليمين أو اليسار . كان فى الخطابين غير متناسق . وبفحص الأرقام وجدها مفتوحة فكتب الحرف « ب » وفى النهاية فحص العمود الداخل للحرف « م » الكبيرة فوجده يترل حتى أسفل . وتوصل رجل البوليس فى النهاية لنموذج الآلة الكاتبة الذى كان « بيكا ١٢ » . أما والد « دافى » فقد بدت عليه الدهشة عندما رأى أمامه نموذجا مصغرا للآلة الكاتبة التى يبحث عنها . وهنا فقط بدأ يشعر بالأمل . ولكنه لكى يحدد رجل البوليس الموديل الذى يلازم هذا النموذج طلب من والد « دافى » أن يمر عليه بعد ساعتين بعد أن يتصل هو بالسكرتارية العامة للأنتربول والتى تملك مجموعة كاملة لنماذج الالات الكاتبة فى العالم كله . .

وبعد مرور ساعتين : نقل مكتب انتربول باريس المعلومات المطلوبة التى أفادت أن الآلة الكاتبة من النوع « أوليفيا » التى تحمل باليد . وصناعتها ما بين عامى ١٩٤٥ و١٩٤٨ والموديل « ستاندار رقم ٨ » وفوق هذا كله توصل رجل البوليس إلى أن هذه الخطابات كتبت باستعمال أصبع واحد .

فرح الأب بكل هذه المعلومات وأسرع إلى الشارع . فالآلة الكاتبة القديمة التى تحمل باليد ولا يحتفظ بها أحد فى المكاتب . ربما تكون فى المنزل داخل دولاب قديم . وكون الرجل العجوز فكرته التى بنى عليها أعماله وكان لابد أن يكون أحد أصدقاء « دافى » القدامى هو السبب بعد أن فشل فى حبه معها أراد الانتقام منها وبشراسة . تماما مثل أى إنسان طعن فى حبه فأراد أن يثأر لنفسه . وكانت فى حياة « دافى » ثلاث قصص حب جادة . توصل الأب إلى العناوين المختلفة . وبما أنه قرر تولى البحث بنفسه فقد انتحل شخصية عامل يقوم بإصلاح الآلات الكاتبة . واكتشف أن الصديق الأول لم يكن يملك آلة كاتبة : وأن الثانى يعمل فى مكتب تجارى ولا يستخدم إلا الآلات الحديثة وهو فوق ذلك كله متزوج . أما عندما توجه إلى الصديق الثالث استقبلته امرأة عجوز .

أصيبت بالدهشة . عندما علمت أن العامل جاء لإصلاح الآلة الكاتبة . . قائلة إن ابنها لا يستخدمها مرارا ثم إنها لا تعرف حتى مكانها فهى آلة قديمة . ولكن عندما أصر الرجل أن تريه إياها بحثا معا عنها . وبالفعل كانت داخل دولاب وأخرجتها المرأة بانتصار إنها آلة كاتبة قديمة تحمل باليد من نوع « أوليفيا » .

فتحها بسرعة والد « دافى » وأمام النظرات المتشككة للمرأة العجوز أراد الرجل أن يأخذ الآلة بعد أن يعطيها مقابله . ولكنه أمام الحاح المرأة ورفضها لأن الآلة لا تستحق التجديد قال الرجل على الفور إنه سوف يجربها أولا حتى يتأكد بنفسه من صلاحيتها . وبعد أن كتب عشرة سطور على ورقة بيضاء . . قال للمرأة بارتياح : « إنك على حق ولا داعى لإصلاحها » فقد عملت بما فيه الكفاية .

وجرى الأب مثل اللص الهارب ، وبسرعة شديدة ليلتقى بصديقه رجل البوليس لأن صاحب الآلة الكاتبة عندما يعلم بأن هناك من حضر لفحصها سوف يفهم أن أمره انكشف وربما يحاول الهرب . . وبعد نصف ساعة وبفضل العشرة السطور . تعرف البوليس على نفس الآلة بعد مطابقتها للنسخ الأصلية للخطابات .

بعد نصف ساعة أخرى بدأ رجال البوليس استجواب الرجل المجهول . الذى اعترف على الفور . كانت حجته الوحيدة . أن تصرفاته لم تكن جديرة « بدافى » ولكنه مع ذلك لم يحب سواها . لذلك فكر أنها لو قضت بعض الوقت فى السجن فسوف تعود إليه لترتمى بين أحضانه فى شوق وسعادة وتطلب الزواج منه . وكان الأمر صعبا فقد حكم عليه بالسجن لمدة خمسة أعوام بتهمة البلاغات الكاذبة .

ولم يحقق العاشق الولهان إلا مزيدا من الاحتقار من قبل محبوبته بسبب جنون وهم الحب وعندما تفكر كيف كانت حياة « دافى » المسكينة خلال عام واحد . . نقول إنها حقا دفعت الثمن غاليا .

□